فنزع عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه نفرانه صلى الله عليه وسلم السبب تقميصه بعبد الله وفعل هذا لطلب عبد الله بن ابي لطيبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صادقا مخلصا واما ما في القتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه سأله ان يستغفر له وان يصلي عليه فتقميصه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلده ولا فحفر نفه هذه جعل من القول ظاهرها الترتيب واما المراد هذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ولاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وفي شرح صحيح مسلم ان عبد الله ابن ابي بن سلول كان سيد الخزرج وآخرجا هليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم حسده وناصبه العداوة فلما ظهر الاسلام غلب عليه فنافق فكان رئيسا في المنافقين واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى انه قد روي عن ابن عباس انه قال كان في المدينة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلا الصحابة واسدهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرفهم صدرا وكان ابو الناس رأيه ومع ذلك فقد قال يوما النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ائذن لي من ابي الناس لاجاء من تنزل الملك براسه فقلت فقال رسول الله بل تعفو عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فيتبارك من بركته فاعطاه وسأله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعافا له ولطلبته وقوله انصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه يحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث بالذي شرعه له النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا تستغفر لهم وهذا التأويلان فيما بعد القرطبي والذي يظهر لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وساقه على ابين من هذه وليس فيها فيه قام الفتى فنظر الى ابن عباس عن عمر لما مات عبد الله بن ابي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت البيت الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براءة وقال القرطبي وهذا سياق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فيما اولنا وقوله صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين عقب قوله لزدت وهذا تقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا فلذلك قالوا لو اعلم انه زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم انخيرت فاختار مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الاية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين المخبر فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم انه لا ينفع ولا ينفع وغايته ان وقع وكان لطيبا لقلوب الاحياء من قرابتهم فانه فعل الاستغفار المنهي عنهم من الخبر فيه مدار نفع الاشكال بحمد الله والله اعلم وفي الشيخ محيي الدين الحوالي كما انما اعطاه قميصه ليكفنه فيه فطيبا لقلب ابنه عبد الله قاله كان صحابيا صالحا وقد قيل ذلك ولجابه اليه وقيل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق المميت لانه البس العباس من اسيرهم يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم مما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى والمبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له فقال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال اسفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال صلى الله عليه وسلم ما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت ارجو ان يسلم به الف من قومه فلما رأى تنزيل قميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه ولا تتولى دفنه من لهم مات قام باهر فلان اذا قام امره وناب عنه فيه انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من القيادة عليه والقيام على قبره فلما نزلت هذه الاية يئسنا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره وهو ما فان قلت الفسق اذن في علامة الكفر فلا كرر تعليل هذا النهي كونه كافرا بل جاز ان يحمل الفسق على غير ظاهره القاطعة في وصفه فاسقا عند وعندنا الكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب الكفر والخداع واضحا والسوء للغير وهذا امر مستنكر عند كل احد لما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بصفات وصفهم بالكفر بقوله تعالى ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الكلام في هذه الاية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه فان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتأكيده وارادته ان يكون الخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد المراد منه وانما اعيد هذا المعنى لنونه فيما يجب ان يحذر منه وهو الشاغل الاشياء جذبا للقلوب والخواطر والاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب ان يحذر منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التاكيد والمبالغة في التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد فحذر نبيه ولها والاية الاخرى قوما اخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك انه تعالى قال في الاية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون ومنهم يكونهم كارهين للانفاق لشدة محبتهم للاموال والاولاد فحمل المعطوف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا لم يجز فيها الواو وقال تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم والسبب في هذا التحرير لا دخلت هناك لزيادة التأكيد ويدل عليه انهم كانوا مصيبين بكثرة الاموال والاولاد وكانا محبهم باولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف في الفاء فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه انما ورد حرف لا هنا ما ورد حرف لا هنا انه كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما امروا الا بان يعبدوا الله وقال تعالى في الاية الاولى في الحياة الدنيا وقال هنا فلا تعجبك اموالهم وانفسهم في اسقاط لفظ الحياة تنبيها على ان الحياة القرينة بالحسنة والخسة اوجب انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على انها هذه جملة في ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسراره كتابه قوله عز وجل واذا انزلت سورة يحتمل ان يراد بالسورة نفسها لان اطلاق اسم الكل على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السور وعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم فان قلت كيف يأمرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد المستقبل وحمل الامر بالايمان بتوجيه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهر الصورة لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون فالمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين اوجب عليكم ان تؤمنوا بالله وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيد كذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعه والله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)